رواية
يُضمّدها الأمل
أماني سليمان

رواية

يُضمّدها الأمل

أماني سليمان

إهداء خاص للأستاذ والشاعر القدير

فرج الحسين

أشكره لدعمه الدائم لي

و لصديقي الذي أثبت صدقه

في زمن أصبح فيه الصّدق عملة نادرة

ثامر الحسين

لدي عمل متعب يتطلب سفر و سهر ليلتين أو ثلاث و وقت فراغ كبير من عادتي الانعزال لأني أحب الهدوء و استثمار أوقات الفراغ بشيء جيد و أقضي أيضاً بعض الوقت مع زملائي لكن أغلب الأوقات أبقى وحيدة برفقة كتبي التي أطالعها

في بعض الأحيان كانت تراودني فكرة العودة للكتابة التي تخليت عنها مدة لا تقل عن خمسة عشر عاماً إثر غدرٍ أدى بي للصدمة من أقرب صديقة لي حيث أنها كتبت أسمها بدلاً من أسمي على إحدى خواطري التي شاركتُ بها في إحدى المسابقات و ضميرها حلل لها السرقة و انتهاك الملكية الفكرية لغيرها

لكن الفكرة بدأت تلحّ و تقول هيّا يا ساندرا أكتبي فأخذت القلم و بدأتُ أكتب و لا أعلم ما كنتُ أكتبه عندما شعرتُ بأني أفرغتُ كامل احساسي على الورقة و لم يبقى شيء أكتبه بدأتُ بقراءة كلماتي

كانت خاطرة جميلة جداً أثبتت لي أن ابداعي لم ينقص و لم يتأثر بالزمن الذي انقطعتُ به عن الكتابة هذا أعطاني قوة كبيرة و طاقة و دافع لمواصلة الكتابة

لكني كنتُ دائما على قناعة بأنه لا يجب أن أمسك القلم وقتَ ما شئتُ بل يجب أن أكتب وقتَ ما يشاء القلم حيث أنه على صلة مع الالهام الذي هو صديق الاحساس

لم يحدث أني فكرتُ بشيء و كتبتُ عنه يجب أن يأتي الالهام بالفكرة و الاحساس و أنا فقط يده اليمين التي تكتب ما يمليه عليها دون علم بما تكتب حتى أنتهي و أقرأ ما كتبته كأني لم أكن أنا من كتبت أقرأه باستغراب شديد و أشعر بجمال الاحساس الذي يتخلل الخاطرة و يغلفها و أعجب بها

لم يسبق أن حاولتُ انتقاء الكلمات أو تجميلها أبداً أكتبها كما تأتي ببساطتها و عفويتها و لا أحاول تغييرها لأني أشعر تغييرها سيغير الاحساس و يجعله مصطنع و تصبح الخاطرة باردة دون روح

بدأتُ أكتب في أي حينٍ يزورني به الالهام أحياناً أكون في قمة التركيز في عملي فيطرق الالهام باب تفكيري ليشله عن كل شيء و يستحوذ عليه لمدة قصيرة فأترك كل شيء من يدي و أدون ما شعرتُ به في تلك اللحظة فيذهب الهامي دون أن يودعني

و أحياناً أكون في الحافلة لا أملك ورقة و قلم فأدون الخواطر في مذكرة الجوال ثم أنقلها لدفتر خواطري

و أحياناً أكون في الشارع عائدةً للمنزل فيأتي الالهام أحاول أن لا أفكر بشيء و أن أمسك به حتى أصل للمنزل لكن عبث سرعان ما

يذهب قبل وصولي فإما أن أكتب فور وصوله أو يحرمني من كتابة الخاطرة لأنه يأخذ الكلمات معه

كثيراً من الخواطر ضاعت و لم تدوّن لأنها كانت تأتي في وقت غير مناسب كعبوري للشارع أو زيارة أحد أصدقائي أو أقاربي

لذا حاولتُ أن أكون جاهزة في أي وقت لاستقبال إلهامي المزاجي و فعلاً استطعتُ أن أقلل من عدد الخواطر الضائعة

كنتُ أكتب و لا أحب أن يطّلع أحداً على خواطري لا أعرف لماذا كنتُ أشعر بالخجل ربما لأني أكتب بإحساس فأشعر أن احساسي يتعرى أمام القارئ

لكني لاحظتُ بأن خواطري ازدادت و أصبحت كمية لا بأس بها فجاءت فكرة تتمختر في ذهني شردتُ بابتسام لمجيئها حتى وصلت

و أدلت دلوها الذي كان مفاجئ و هو أن أجمع خواطري في كتاب و أنشره فقلتُ لها بعفوية : لا لا لا

أجابتني لما لا ؟

لما تحكمين عليها أن تبقى سجينة دفتركِ لما لا تظهر للعلن لما لا ترى نور الشمس أسأليها ستقول لكِ أن الظلام أرهقها و أن مكانها في أيدي القرّاء كثيراً منهم يحبون هذا النوع من الكتب التي يملأها الاحساس و يستمتعون بقراءتها كثيرون هم المتذوقين

سألتُ الفكرة ماذا عن خجلي الذي لا يتخلى عني ؟

فأجابت اذاً أنتِ قومي بالتخلي عنه بالتدريج

أعجبني كلام الفكرة و فعلاً بدأتُ في قراءة خواطري للمقربين أختي و زوجة أخي اللتين أثنتا على جهودي و أعجبتهم خواطري

ثم صديقتا دربي رنيم و لانا اللتين دعمتاني نفسياً و رفعتا من معنوياتي و كانتا بانتظار قراءة كتابي بفارغ الصبر

و قالت لي رنيم ذات مرّة بأن أحد اقاربها شاعراً متمكن و موهوب و أنه لو كان موجود كان سيساعدكِ حتماً فهو طيب القلب لكنّ الزمان دار عليه و ظرفه صعب و هو غائب حالياً إن عاد سأخبره لكني يائسة من فكرة عودته كان الله في عونه

بعد هذا الحديث بخمسة عشر يوماً تقريباً كنا جالستين في مكان عملها ذهبت لأجلب القهوة لم أغب عنها سوى عدة دقائق عند عودتي رأيت شاباً جالساً معها يضع قبعة سوداء و يرتدي قميصاً خمرياً عندما اقتربتُ أكثر منهما نظرت لرنيم بدهشة و سألتها هو ؟

فضحكت و قالت نعم هو بذاته أعترف بأن حظكِ جيد يا ساندرا

الشاب ينقل نظره بيننا بدهشة فهو لم يفهم بعد مقصدنا فأنا لم التقي به من قبل لكن إحساسي قال لي بأنه هو الشخص الذي سيساعدني

نظرت له و قلت مرحباً أنا ساندرا صديقة رنيم

- أهلاً أنا عمران لطالما أخبرتني رنيم عنكِ و عن هواياتكِ كنتُ أود لقائكِ منذ مدة
- ابتسمتُ بخجل و شكرته و قلتُ أنا أيضاً كنتُ أودّ لقاؤكَ لكن بصراحة كي أستغل خبرتكَ في اللغة العربية فضحكنا جميعاً
- أنا في الخدمة
- ألفتُ كتاباً و كنتُ أودّ تدقيقه لغوياً أنت شاعراً و مجازاً في اللغة العربية
- بكل سرور ساندرا لا مانع لدي فأنا أحب أن ألتقي بفتاة طموحة و جميلة مثلكِ

- أشحتُ بنظري عنه و تبسمتُ بخجل و قلتُ هل لي أن اخذ رقم هاتفك

تبادلنا ارقام هواتفنا وقلتُ له سأتواصل معكَ كي نرتب لقاء أستاذ عمران ذهبتُ و أنا مذهولة من نفسي لأني برغم جرأتي لا أحب النظر في عين المتكلم لكني أمعنتُ النظر في عيون عمران بل ابحرتُ داخلهما أيضاً

مضى النهار ولم أتواصل معه لأني كنتُ منهكة في عملي و التحضيرات النهائية لكتابي

و في المساء التالي رأيتُ رسالة وصلتني منه

- مرحبا ساندرا كيف حالكِ ؟
- أهلاً استاذ عمران أنا بخير كيف حالكَ ؟

- أنا اصبحتُ بخير بعد رؤيتكِ و محادثتكِ حدثيني أكثر عنكِ و عن ماضيكِ و حاضركِ عن أحلامكِ و طموحاتكِ ماذا تحبين و ماذا تكرهين أحب أن أعرف كل شيء عنكِ كل تفاصيلكِ تهمني مهما كانت صغيرة

ذهلتُ لكنني أجبته باختصار شديد و مقصود

- يا ألهي ساندرا أين أنتِ منذ زمن كيف لم ألتقي بكِ من قبل ؟

لم أعلّق على كلامه انتظرتُ أن يكمل ماذا يريد

- أنتِ التي كنتُ أنتظرها أنتِ التي أتمناها و أتمنى وصالها و حبها أسرتني روحكِ المرحة و جمالكِ الناعم و الهادئ هل أنتِ مرتبطة ساندرا ؟

- لا

- من حسن حظي يا ألهي هل أنتِ حقيقة أم خيال ؟ لا أعتقد أن الحياة كريمة ما يكفي كي تجود عليّ بهديةٍ مثلكِ لا لن تهديني الحياة ملاكاً جميلاً مثلكِ حتماً أنني أحلم
- لا أستاذ عمران أنتَ لا تحلم أنا هنا موجودة لكنني مصدومة
- نعم نعم أعلم أنني صريح جداً لكني لا أحب المقدمات و المجاملات و ضياع الوقت في التلميحات أنا أحبكِ و أنتِ ما هو شعوركِ تجاهي ؟
- لم أعلم كيف أرد أو بماذا أرد أستاذ عمران نحن لا نعرف بعضنا و لم نرى بعضنا سوى عشر دقائق تقريباً
- لا لا ساندرا أشعر أنني أعرفكِ منذ دهر هل تريدين أن أخبركِ عن الأشياء التي تحبينها والتي تكرهينها صدقيني أعرفكِ أكثر من معرفتكِ بنفسكِ
- لا أستاذ عمران أنتَ لا تعرفني و لم تتعرف علي بعد

- إذاً أخبريني من أنتِ ؟
- أنا ؟! أنا على رأي الفنان محمد عبده مجموعة انسان من كل ضد و ضد تلقى فيني فيني نهار و ليل و أفراح و أحزان
- ألم أقل لكِ أنني أعرفكِ أنتِ طفلة مدللة و أنثى ناضجة أنتِ مجنونة حد التعقل و عاقلة حد الجنون باختصار أنتِ أنا

لا أخفي فرحتي بوجوده و بكلامه لكني لم أستوعب فكل شيء يجري بلمح البصر أنا التي كانت حياتي أشبه بسلحفاة تمشي ببطء شديد و مستفز لكني دائماً أسمع أن الفرح لحظة و قد تكون هذه هي لحظة الفرح لما لا أعيشها ؟

و أنا أيضاً لا أخفي شعوري بأني أعرفه منذ دهر إذاً فكلامه منطقي و ناتج عن شعور صادق فهو لم يقل شيء لم أشعر به

أيعقل أن أرواحنا تلاقت و تحابت و تآلفت لهذه الدرجة ؟

فقلتُ لنفسي لا تضيعي الوقت ساندرا في هذه المناقشة بين قلبكِ و عقلكِ ذهبتُ وراء قلبي المجنون الذي سار بي في طريق مجهول و بقينا نتراسل حتى طلوع الفجر سألني

- هل تحبين الشعر ؟
- لا لكني أحب شاعراً موهوباً جداً الشاعر حسين علي المطوري هل تعرفه ؟
- لا أعرفه لكن من الغريب أنكِ لا تحبين الشعر و تحبين قصائد هذا الشاعر هل تحفظين له شيء ؟
- نعم بعض من قصيدة دم الياسمين

قلبي أدركَ ما مضاه و فاته فأعلن وفاته

كتبتُ له على آخر ورقةٍ من شجرةٍ على وشك الموت

حطم ما شئت إلّا قلبي أنتبه أنتَ به

قال غادرني فأنا وطنٌ لا يفقه ألغازي الغازي

فقلتُ له أجلِ و عندما قلتُ أجلِ حلّ أجلي

- فعلاً رائع ساندرا مميزة لذا كل ما هو مميز يجذبكِ و تجذبينه

أنهينا حديثنا بعد أن حددنا موعداً للقائنا ثم بدأت الأيام بالغيرة من حبنا و أصبحت بطيئة جداً و ثقيلة جداً كلانا متلهف لنهاية الأسبوع ثم جاء اليوم المحدد و ذهبتُ للقائه و معي حاسوبي النقال كي يتسنى له التدقيق لكني تفاجأتُ عندما رأيتُ دراجته النارية

بعد السلام تبادلنا النظرات نظراته يملأها الفرح و نظراتي ترسل إشارات استفهام لم أدري ما حاجتنا للدراجة النارية

- ثم قال اصعدي ساندرا

نظرتُ له مشدوهة

- نعم ماذا تقول أصعَد ؟

لا لا لا عمران أنا لا أحب الدراجات النارية و أخاف منها كثيراً و لكن ما حاجتنا لها إلى أين نحن ذاهبين ؟

- ساندرا هيا اصعدي و لا تسألي سأريكِ شيء ثم نذهب لمقهى و نعمل سوياً في تدقيق الكتاب أما الآن اصعدي هيا
- لا أريد عمران صدقني لا أحب ركوبها فلنذهب للمكان الذي تريد سيراً على الأقدام
- ساندرا قلتُ اصعدي لن نتأخر

صعدتُ على مضض و كلما سألتهُ إلى أين لا يجيب إلى أن رأيتُ أننا أصبحنا خارج المدينة عندها هاجت أعصابي و بدأتُ أصرخ أما هو فظل يقود الدراجة و كأنه لا يسمع و يكمل طريقه عرفتُ أنه سينفذ ما قاله لي ورفضتُ سيأخذني لمدينة قريبة تبعد ما يقارب

٤٠ كم هي أيضاً مدينة جميلة و فيها مقاهي جميلة لستُ ضد فكرة ذهابنا لتلك المدينة لكني ضد فكرة ذهابنا على دراجة نارية عدا خوفي من ركوبها إن الشمس في أوج حرارتها عند الضهر في تموز يا الهي أشعر بدوار شديد صرخت به مجدداً لكنه يكمل الطريق دون أن يجيب وصلنا لمنتصف الطريق كان موحش وخالي لا قرى على جانبي الطريق و لا يوجد شيء و إذ بالدراجة تتعطل

- آهٍ ما أسوأ حظي قلتُ لكَ لا أحب الدرجات النارية لكنك لم تهتم و قلتُ أن الشمس أحرقتني بلهيبها و لا حياة لمن أنادي
- ساندرا أريد أن نعيش حبنا بجنون و أن يكون حبنا مختلفاً صدقيني لا يوجد أجمل من جنون الحب
- فعلاً عمران هذا جنون لكنه ليس جميل كما قلت هذا الجنون سيقتلني

ما العمل الآن الطريق خالي و لا يوجد من يساعدنا كيف سنصلح الدراجة ؟

لم ينطق عمران ظل ساكتاً لكني شعرتُ بالخوف حين صادفنا شابين كانا أيضاً على دراجة نارية أنا في كامل أناقتي و هذا طريق ريفي و هذه المنطقة خالية تملكتني الهواجس و بدأت تسيطر على عقلي عندها لم أتكلم و بقيتُ هادئة و خائفة و إذ بشابين آخرين على دراجة نارية شعرت بأن تفكيري شل من الصدمة و خاصةً أن هذان الشابان لم يكملا طريقهما بل توقفا على بعد عدة أمتار و شعرت بأن قلبي توقف ذهب عمران تجاههم و عندما اقترب تصافحوا ثم عاد عمران بدراجتهم و أعطاهم دراجتنا المنزوعة عندها شكرتُ ربي على هذه الصدفة الرائعة صدفة ولا في الأفلام أن يرى عمران اقربائه على طريق خالي و معهم دراجة ايضاً أكملنا طريقنا و بعد

دقائق ليست قليلة أوقف عمران الدراجة و نظر لي و ملامح الخوف واضحة على وجهه سألني

- ما بكِ ساندرا لماذا توقفتِ عن الكلام كنتِ عصبية و تصرخين و فجأة لم أعد اسمع صوتك هل أنتِ بخير ؟

اشحت وجهي عنه و نظرتُ إلى اللاشيء عرفَ أني لا أريد أن أتكلم فأكمل الطريق

عندما وصلنا إلى تلك المدينة جلسنا في أحد المقاهي ذهب عمران و أحضر ماءً بارداً شربتُ و هو ينظر لي نظرات ذات معنى تائه فهو قلق من أجلي ما هذا السكون بعد تلك العاصفة التي خالها لن تهدأ هل من مكروه أصابني أم أن الشمس أمرضتني و قد أكون خائفة تبسم لي و قال هل هدأت أعصابكِ الآن

لم استطع مقاومة ابتسامته و نظرته الحنونة تلك فارتسمت ابتسامة على شفتاي رغماً عني لكني لم أغير رأيي تبادلنا أطراف الحديث و استطاع أن يمتص غضبي بهدوئه و حنانه ثم سمعنا أنغام موسيقى جميلة كلانا يعشقها و من لا يعشق أغنية (كلمات) للرائعة ماجدة الرومي ثم بدأ يدندن معها فهو يملك صوت عذب و أنا من عشاق نبرة صوته الدافئة ثم التقطنا بعض الصور و كنا بغاية السرور صدق من قال أن اللحظات الجميلة يجب أن نسرقها سرقة من الزمن لكن رغم سعادتي لو عاد بي الزمن للخلف لن أوافق على مجيئنا بالدراجة النارية رغم أني عشتُ تجربة لم أعشها مسبقاً و لن أكررها فأنا اخاف من الدراجات النارية جداً جداً و لو كنتُ أملك القرار لن أرافقه لكنه أجبرني و لم يعطيني الخيار في ذلك

بعد أن أخذنا استراحة جيدة باشرنا بتدقيق جزء كبير من الكتاب

فعندما كان يقرأ الخاطرة بعيونه أو بصوتٍ منخفض أقول له ارفع صوتك كي اسمعكَ فأنا أحب صوتكَ و تكرر هذا الموقف و كلما طلبتُ منه رفع صوته يبتسم عندها أدركتُ أنه كان يتقصد خفض صوته كي أقول له ارفع صوتك فأنا أحب سماعه

مضت ثلاث ساعات و حان وقت العودة لكنه أصر أن يأخذني لمكان آخر في المدينة سبقت لي زيارته مع رنيم و اقاربها

بقينا هناك قليلاً فهو مكان جميل بالفعل مشينا بين الأشجار

ثم قلتُ له الآن أنا من ستقرر و قراري أني لن أعود معك على الدراجة لذا أخذني لمكان انطلاق الحافلات و انتظرنا ما يقارب الساعة حتى انطلقت الحافلة أوصاني بأن أنتبه لنفسي جيداً

بعد عودتي بقيت يومين أضحك على الموقف و كيف ذهبت على الدراجة النارية كل هذه المسافة بالفعل هذا جنون و تحدي كبير بالنسبة لي

كنا نتحدث بشكل يومي كان يتغزل بي كثيراً لكني لم أشعر بالسعادة رغم أنني لا أشك بصدقه كيف يحدث هذا لم أفهم وكانت هذه المشكلة تضايقني كثيراً و المشكلة أنها تكبر يوماً بعد يوم

في أحد الأيام خطر ببالي أن أسأله عن ماضيه أجاب بأنه أحب فتاة تشبهني بكل شيء بالشكل و بالتصرفات و طريقة الكلام و الأسلوب حتى تخصصي الدراسي لكنها كانت تصغرني بعدة سنوات و أنه التقى بها في تلك المدينة التي ذهبنا إليها أو بالأحرى أخذني لها رغماً عني فتلك المدينة شهدت ولادة و تفاصيل قصة حبه الأولى

حينها فهمت لماذا لا استطيع الشعور بغزله و لا يصلني احساسه لأن هذا الغزل لحبيبته السابقة ليس لي حتى أننا في كثير من النقاشات أشعر أننا نبدأ من الوسط و عندما أسأله لا يجيب فقط يكتفي بحجة أننا نفهم بعضنا و ذهابنا لتلك المدينة كي يشعر أنه لازال يعيش القصة الأولى معقول أنه لم يهتم لتغيير الطرف الآخر؟

أم أنه ليس بوعيه و الذكريات سيطرت على عقله و وجدانه و لم يعد يميز لا أدري لكني مصدومة للغاية

عندها عدتُ بذاكرتي للبداية السريعة لقصة حبنا و فهمتُ بأنه لم يهتم بي من الأساس فقط كان يريد إكمال قصته الماضية و إن اختلفت البطلة و أنه يريدني نسخة منها لأنه فقدها حين تزوجت و الغريب أنه يضع لها أعذار دائماً و لا يراها خائنة تركته لتتزوج من آخر و عنده أمل بأن تعود من جديد يا الهي ما الذي يجري ؟

ألهذه الدرجة هو صادق الاحساس و نقي ؟

هل سيأتي اليوم الذي يعرف أنها ذهبت و لن تعود ؟

هل سيحبني أن استطاع أن ينفض غبار الأوهام عنه ؟

تذكرتُ أنني في كثير من الأحيان بسبب انفعالي السريع كنتُ أطلب منه أن نترك بعضنا لكنه لا يقبل و يحاول جاهداً استمرار هذا الحب الآن فهمت و عرفت لماذا

لا و الذي يزيد الطين بلة أنه مستمتع في سرد قصته و يوصف حبه لها الذي كان و لازال و سيكون و لن يزول و لم يهتم لمشاعري

أين أنا و ما موقعي في حياته قاطعته قائلةً

لا يا عمران أنا و رغم حبي الشديد لك لن أقبل أن ألعب هذا الدور و لن أخدع نفسي بأنه سيأتي اليوم الذي ستحبني به

أنتَ سجين ماضيك أذهب و حاول الخروج منه

رغم أني كنتُ في حالة يرثى لها و صدمتي كبيرة جداً إلّا أني أعي حالته النفسية جيداً لم يستطع نسيانها و لم يستطع الخروج من سجن ذكرياته معها و كل فتاة يراها يحاول أن يرى النقاط المشتركة بينها و بين حبيبته السابقة

شعرتُ بأني تائهة هل أزعل منه ؟

أم أزعل عليه ؟

أو أزعل على نفسي ؟

فهو غير واعي لوضعه لم يستطع التغلب على صدمته النفسية التي سببتها له قصة عشقة و خيانة حبيبته

ثم أصبح حبنا بارداً جداً إلى أن جاء اليوم الذي انقطعت به أخباره عني فأنا لم أشأ أن أكون مثلها و أتركه فجأة خشيت أن ينهار أثر صدمة عصبية حادّة لذا قررتُ أن أنسحب من حياته شيئاً فشيئاً

لكن الغريب أنه هو من أنسحب فجأة دون سابق انذار و لم يعد يجيب على رسائلي و لا يرد على اتصالي

قطعت أخباره عني لمدة شهرين أو أكثر و لم أشأ أن أسأل رنيم عنه فهي كانت تُحضّر لسفرها خارج القطر و قلقة جداً دائمة الانشغال و حملها الأول غيّر مزاجها جداً و لم تعد كما عرفتها غالباً ما تكون عصبية و حادة المزاج لذا لم أسألها عنه

سافرت رنيم بكيت جداً و شعرت بالوحدة فهي لم تكن صديقة فقط بل كانت أخت لي

ثم شعرتُ بالوحدة أكثر و أكثر بسبب حظي العاثر فلم يدوم حبنا سوى شهر و نصف فقط ثم أختار الابتعاد كنتُ أسمع أحياناً من بعض أقاربه أن ظروفه صعبة لكني لم أقتنع بأن هذه الظروف تمنعه أن يجيب على رسائلي

بعد فترة حاولت الاعتماد على نفسي و بحثت عن طريق شبكة الأنترنيت على دور نشر و فعلاً تواصلتُ مع دار نشر كانت قد وضعت الرقم أتصلت و أجابتني فتاة لطيفة طلبت أن نتواصل عن طريق تطبيق الوتس آب تواصلنا و طلبت صورة غلاف الكتاب و أسمه و بعض الخواطر أرسلت لها ما طلبت و في اليوم التالي راسلتني و طلبت تفاصيل أكثر و كم عدد صفحات الكتاب و من ثم اختفت

بعد أن لمع بريق الأمل سرعان ما اختفى قبل أن يضيء أمامي حاولت محادثتها لكنها لم تجيب ثم سألت العديد من رفاقي لكن أحداً لم يساعدني و أنا إصراري يزيد يوماً بعد يوم و لن أيأس و حاولتُ جاهدةً اكمال تدقيق الكتاب لغوياً لكني لم استطع ذلك فكلما طلبت من أحد المدرسين تدقيق الكتاب كان يعتذر لا أعرف لماذا

إلى أن قال لي صاحب مكتبة بأنهم يخشون أن يُكتشف ضعفهم في اللغة العربية لذا يعتذرون

بقيتُ لمدة شهرين أبحث عن من يدقق باقي الكتاب و عن دار نشر و لا أخفي عذابي في تنسيقه فأنا لم أكن من ذوي الخبرة في برامج الحاسوب لكني أعرف ما أريد أرسلته لأثنين من المختصين و لم يعجبني تنسيقهم لذا حاولت بنفسي تعبت جداً حتى أكملت التنسيق بشكل رضيت عنه

عاد عمران بعد غياب شهرين رافقني فيهم العذاب و قلة الحيلة والدموع و القهر و الخوف و القلق

بعد عودته لم استطع التعامل معه بشكلٍ جيد بسبب ما بدر منه خلال الفترة السابقة و في الوقت ذاته لم استطع أن أكون مثله و أتجاهل رسائله و اتصالاته في النهاية أجبته

شعرتُ بأنه أقتنع بأني أنا ساندرا و لستُ هي و كأنه أحتاج بعض الوقت ليكون بمفرده بسبب الصدمة كأنه لم يكن يعي أنه لازال سجين ذكرياته و شعرت بحبه لي وأنه أقتنع بأنه يجب أن ينساها أو يتناساها ليستطيع إكمال حياته بشكل طبيعي

ابتعد ليعيد توازنه و يفكر بهدوء و يعي ما حصل له

لكننا خلال هذه الفترة كنا أشبه بصديقين في الأسبوع نتحدث مرة و بشكل سريع نطمئن على أحوال بعضنا فقط

لم نتقابل لمدة ثلاث شهور فالمقابلة التي كانت في تلك المدينة كانت الأولى و الأخيرة و الوحيدة أشعر أن قصتنا ولدت يتيمة أمها ماتت أثناء الولادة المتعسرة و لم يستطع الأب أن يفرح بمولودته بسبب فقدانه زوجته التي يحبها فمات خلفها بعد فترة قصيرة

بقيت الطفلة اليتيمة الصغيرة تعاني وحيدة كقصة حبنا

حاولت الاستعانة بشبكة الأنترنيت مرة أخرى و بحثت عن دور نشر و لأني لا أملك الخبرة ظهرت لي صورة واضح أنها صورة قديمة لمكتبة و أن أحدهم نشرها و أن هذا حساب خاص على الفيس بوك لكني كنتُ أتعلق بخيط أمل مهما كان رفيع بدأت الحديث معه على المسنجر فوراً

- مرحبا أعتذر إن أزعجتك لكني أود التواصل معك إن أمكن ذلك

- تفضلي
- بداية أود أن أعرفك بنفسي أسمي ساندرا و لا أملك ما يكفي من الخبرة كي أستخدم الفيس بوك بشكل جيد لذا لا أعلم إن كنتُ أقصد الشخص الصحيح لكني أبحث عن دار نشر كي أنشر كتابي و ظهر لي أسمك ضمن نتائج البحث و أعتذر إن أخطأتُ و لا أريد مضيعة وقتكَ
- عزيزتي ليس لدي دار نشر هل لي أن أعرف عما يتحدث كتابكِ
- إنه كتاب خواطر و هذا أول كتاب لي لكني بدأتُ بكتابة رواية حالياً
- هل الكتاب جاهز ؟ هل قمتي بتدقيقه و تنسيقه ؟ كم عدد صفحاته ؟

- غالباً هو جاهز لكنه يحتاج بعض التدقيق لكني نسقته و أخترت الغلاف وعدد صفحاته مئة وخمس وسبعون
- إن حجمه كبير واضح ان إنتاجكِ كثيف هل أنتِ مجازة باللغة العربية ؟
- لا إن تخصصي علمي لكني بدأتُ عمل جديد و لدي وقت فراغ كثير لم أشأ أن أهدره لذا بدأت الكتابة
- كيف ستنشرين الكتاب ؟
- ليس لدي أدني فكرة عن موضوع النشر و إن استطعت مساعدتي أكون ممنونة لك
- استطيع أن أدلكِ على دور نشر سأرسل لكِ دليل لدور النشر لم تحاولي النشر خارج القطر ؟
- نعم حاولت لكني لم استطع لأن ذلك تطلب حضوري بشكل شخصي و لا استطيع السفر حالياً بسبب الظروف الراهنة

- حتماً يتوجب عليكِ السفر للعاصمة كي تستطيعين النشر و التوقيع هل لي أن أسمع شيء من خواطركِ بصوتكِ
- نعم سأقرأ لك واحدة
- تملكين صوتٌ جميلٌ جداً أنتِ فتاة ثائرة و تحبين أن تكوني حرة و مستقلة أمنياتكِ كبيرة و طموحة
- أشكرك
- كم عمركِ ؟
- ثلاثون عاماً
- هل أنتِ متزوجة ؟
- لا
- واضح أنك تعيشين قصة حب
- لا لكن الأبداع يحتاج حب

- كما يقول الكاتب جبران خليل جبران الابداع يولد من رحم المعاناة لم تخبرني ما هو عملك
- أنا باحث تاريخي و لدي أكثر من أربعين بحث و مقالات كثيرة عن تاريخ سوريا المعاصر أتقن أربع لغات برمجية ومهندس و رسام و رياضي
- رائع كم هو عمرك ؟
- اثنان و أربعون عاماً
- أعتذر اخذت الكثير من وقتكَ و سررتُ بمعرفتكَ جداً مع السلامة
- و أنا أيضاً سررتُ بمعرفتكِ مع السلامة

لا أعلم لم تبادلتُ الحديث معه رغم أنه شخص غريب لكني شعرت بالراحة تجاهه واضح أنه شخص محترم جداً و على درجة رفيعة

من الذوق و في اليوم التالي ارسل لي دليلاً يحتوي على أكثر من ثلاثين دار نشر في القطر

و ها هو الأمل من جديد جاء ملوحاً واعداً أتمنى أن يفي بوعده رغم أني لا أصدقه خذلني آلاف المرات

نظرت للدليل بتمعن لكني لم ارسى على دار معينة لمراسلتها لكني حاوتُ مع أغلب دور النشر و لا جواب

راسلني صديق قديم لي ليطمئن عني فقد سمع أخبار سيئة انفجارات و اشتباكات في مدينتي انفجارات زلزلت المدينة و أودت بحياة مئات الأشخاص أكثرهم شباب

تلك التي كانت تجهز لعرسها استشهدت قبل العرس بيومين

و ذاك الذي عاد من السفر بعد غياب ثلاثة أعوام لم يكمل الأسبوع مع أهله استشهد و هو في بداية عامه العشرين كان يتحدث على الهاتف مع أمه و يقول لها أن الانفجار كان بعيداً عنه و هو عائد للمنزل و قبل أن يكمل مكالمته معها أنقطع صوته و دوى صوت الانفجار الثاني

أما أنا فكنتُ في السوق أجلب بعض الحاجيات للمنزل عندما وصلت للبيت وأنا أصعد الدرج بدأت أصوات الانفجارات لم يفصلني عن مكان الانفجار سوى سبعة عشر دقيقة وصلتُ و رأيت أبنة أخي

البالغة من العمر سنتين و نصف خائفة قلت لها لا تخافي إنها ألعاب نارية و ألوان جميلة صدقت الطفلة الكذبة لكنها لازالت ترى الخوف في ملامحنا رغم محاولة الابتسام في وجهها

تبادلنا السلام أنا و سامر و اطمئن عني بعد أن انقطعت أخبارنا عن بعض لأكثر من سنة بسبب انشغال كلانا

ظل الحزن يخيم على المدينة كغيمة سوداء و ظل الناس في حالة من الحزن و الخوف و القلق

راسلني سامر بعد عدة أيام ليرى كيف أصبحت نفسيتي لأنه كان قلقاً فصوتي لم يكن يوحي بالخير يعرف أنني سأدخل في حالة اكتئاب لذا عاود المراسلة و حاول أن يتكلم بمواضيع شتى كي أخرج من ذاك المزاج السيء و سألني عن أخباري فأجبته بأني أبحث عن دار

نشر لأنشر كتابي وأني لا أعلم كيف سأنشره فقال لي لا تقلقي سأساعكِ سأخبر أحد أقاربي بالأمر و سنرى ماذا سيقول

عاود الاتصال بي بعد ساعة و قال أن قريبه أسمه أستاذ فادي و أعطاني رقم جواله و حسابه على الفيس بوك و قال سامر أن استاذ فادي في انتظاري شكرتُ سامر جزيل الشكر

تحدثت مع قريبه كان رجلٌ خمسيني قال لي بداية دققي الكتاب لغوياً ثم انسخي منه نسختين ورقيتين و نسخة على cd مرفقة بسيرة ذاتية عنكِ بعدها سأخبركِ ماهي الخطوة التالية لكن لا تنسي ساندرا بأنه يجب أن لا يزيد عدد صفحات الكتاب عن مئة و خمس و عشرون صفحة

شكراً لك أستاذي سأعمل بنصائحك

أنهيتُ الحديث معه و أنا أفكر كيف سأختصر الكتاب كله جميل ومتناغم و سأظلم خواطري

إن فضلتُ احداها على الأخرى ثم فكرتُ بأني أستطيع دمج الخواطر التي سأختصرها من الكتاب مع الخواطر التي بدأت كتابتها مؤخراً وهكذا سأكون بصدد نشر كتابين و لن أظلم خواطري

نعم إنه الحل الأمثل لكن سأقع في مشكلة التدقيق اللغوي من جديد وتنسيق الكتاب الجديد واختيار غلاف يليق بالخواطر المكتوبة

ما العمل أشعر أنني وحيدة وبحاجة لشخص يقف بجانبي يساندني ويشجعني كي يعطيني جرعة من التفاؤل والطاقة أستطيع مواصلة طريقي بهما

رنيم سافرت ولانا مشغولة دائماً صباحاً في عملها وبعد الظهر مع طلابها لم أعد أراها حتى في أيام العطل

أشعر أنني تائهة ومرتبكة جداً ولا أعلم بماذا أبدأ حتى التدقيق لم أجد شخصاً مناسباً للقيام بهذه المهمة

ما العمل يا الهي في كل صلاة أدعو خالقي أن يساعدني و يدلني كيف أبدأ

مرت الأيام وأنا لا أعرف كيف سأبدأ أجهدني التفكير بالمشاكل

أولها السفر وهو صعبٌ جداً في الظروف الراهنة

وثانيها التدقيق اللغوي لكتابين

وثالثها تنسيق الكتاب الثاني وهذا يحتاج الكثير من الوقت والجهد

ورابعها الرواية التي لم يتبقى منها سوى الفصل الأخير

أرهقني التفكير لكني أجد نفسي قد بدأت في كتابة رواية ثانية

يا الهي ماذا أفعل أزيد تشابك خيوط العنكبوت و أعقد المشاكل بدل أن أبدأ بحلها ضحكتُ من فعلتي هذه لكني اتبع احساسي بدأت في الرواية الثانية وأنهيت نصفها

كعادتي لا أدري متى يبدأ صباحي لا ساعة محددة لاستيقاظي أنهض مسرعة كي لا تفوتني صلاة الظهر ثم أحضر قهوتي و اسمع صوت فيروز الملائكي تسخر مني امي و زوجة أخي بان العصر حل وساندرا تبدأ صباحها من جديد لكني لا أعرهما اهتماماً

أمسكت جوالي وإذ به رسالتان جديدتان من رقم غريب فتحت الرسائل لأجد أنه أحد أصدقائي القدامى في الجامعة تواصلنا فترة لكنه غاب عني لمدة تسع شهور و أنا أيضاً انشغلت و لم أراسله أو أتصل به

عاد من جديد و سررت بعودته جداً

- أهلاً أهلاً تيم كيف حالك ما هذه الغيبة الطويلة

- انا بخير والدتي كانت مريضة و انشغلت بمرضها فأنتِ تعرفين أني أصبحتُ وحيدها بعد استشهاد أخي و أختي و وفاة والدي أما أختي المتزوجة تقيم في بلدٍ آخر لم يبقَ سواي و أنتِ كيف حالكِ ساندرا ؟

- أمنياتي لها بالشفاء العاجل عسى أن تتحلى بالصبر والايمان و القوة مصابها ليس بقليل أعانكَ و أعانها الله

انا أشعر بوحدة شديدة تيم و على مشارف الاكتئاب أنهيتُ كتابي و لا أعرف كيف سأنشره حاولتُ التواصل مع دارين للنشر و لم القَ استجابة منهما

- لا ساندرا لستِ وحيدة فانا بجانبكِ دائماً و لا أريد سماع كلمة اكتئاب مرة ثانية أين روحكِ الطفولية و المرحة ؟

عودي كما كنتِ و جميلٌ أنكِ فكرتِ بالعودة للكتابة أرسلي لي نسخة من كتابكِ

- تفضل أصبح لديك نسخة إلكترونية من الكتاب أعرف أنكَ أنتَ أيضاً كاتباً مميزاً لذا أريد رأيكَ دون مجاملة

- بالتأكيد لكن الآن أستأذن ساندرا أنا في العمل مع السلامة

- مع السلامة تيم

يا لهذا التيم مهما غاب يعود إنه مثال للصديق الوفي المخلص

أحب وجوده بجانبي جداً لم أذكر له أياً من مشاكلي لم أشأ إزعاجه و هو في العمل سأخبره لاحقاً

و في اليوم التالي تراسلنا و قال لي بأنه أرسل الكتاب لصديقه كي يدققه لغوياً

- حقاً تيم ؟!

- نعم هل تمانعين ذلك ؟

- لا لا لا أمانع على العكس أنا سعيدة جداً حاولتُ جاهدةً أن أدققه لكن دون جدوى و دون أن أطلب منك فعلتَ ذلك

أشكركَ من كل قلبي لا تعلم شدة الفرحة التي أعيشها الآن أشكركَ ثانيةً

- أتمنى أن تكوني سعيدة دائماً لا يليق بكِ الحزن تصبحين أجمل حين تضحكين فضحكتكِ لحنٌ جميل و كلامكِ العفوي السريع الذي تقوليه عندما تكونين سعيدة هو بحد ذاته سيمفونية يروق لي سماعها و الابتسام لأن سعادتكِ هي غاية سعادتي فكيف إن كنتُ أنا سبب سعادتكِ

قال لي صديقي بأنه سينهي التدقيق خلال يومين هل يضركِ إن تأخر عدة أيام ؟

- لا أبداً لا مانع لدي على العكس أشكركَ مجدداً

قل لي تيم هل قرأتَ شيئاً من الكتاب و رأيت بعض الأخطاء لذا أرسلته لصديقكَ كي يدققه ؟

- لا لا لم يتسنى لي الوقت لقراءته لكني أعلم أن كل كتاب كي يكون جاهزاً للنشر يجب أن يُدَقق لغوياً وحاولتُ مساعدتكِ ليس إلّا

و خاصةً أنني أعلم أن صديقي جدير بهذه المهمة فهو متمكن و كاتب أيضاً

- قال لي أحدهم أنني يجب أن أختصر الكتاب فهلّا تساعداني أنت و صديقك في اختيار الخواطر التي نحذفها من الكتاب و هكذا يكون لدي أكثر من رأي وهذا أفضل

- أتفقنا سنخبركِ بآرائنا بعد قراءة الكتاب

- يا ليتكَ في نفس مدينتي مقيم يا تيم كنا سننجز هذا العمل سوياً خلال أيام قليلة ولم أحتاج لهذا الوقت الطويل و الجهد الكبير

- هل تعلمين أننا لم نلتقِ منذ عشر سنين ؟

جرت الأيام سريعة ولم نشعر بها أنهكتنا الهموم و أرهقت أرواحنا

- صحيح أنها مدة طويلة لكننا لازلنا على تواصل و هذا جيد و سنرى بعضنا في الأيام الآتية إن شاء الله

أشكرك تيم و أستأذنكَ يجب أن أنهي المحادثة فاليوم عيد ميلاد أبنة أخي و هناك الكثير من التحضيرات

أنا العمة الكبيرة لذا كانت أبنة أخي جنى التي اصبح عمرها ثلاث سنوات تطلب مني دباً احمر اللون

أحضرت لها ما طلبت و أهديتها إياه و ألبستها جناحين جميلين لفراشة فبدت كالملائكة هي و أختها الصغيرة

أرسلت لتيم

- ماذا عن صديقك لقد مضى أسبوع ؟

أنا في غاية الخجل لأن صديقي خذلني و لم استطع مساعدتكِ

- آه فهمت نعم يجب أن أبدأ من جديد و لوحدي لن أيأس سأحاول مراراً و تكراراً مهما خذلني الآخرون

- آسف ساندرا

- لا عليك تيم هذا هو حظي عاثر دائما لن أرضى عنه و لن يُرضني

بعدها لم يرسل تيم أي شيء

مضت عدة شهور و أنا فترت همّتي و لم أكمل روايتي لكني أكملت كتابي الثاني

و مرة أخرى لجأتُ لشبكة الأنترنيت و أستعنتُ بها فظهر لي أسم شاعر من مدينتي حادثته فوراً و طلبتُ منه أن نلتقي لكي أفهم بعض التفاصيل لكنه أعتذر لأنه مشغول وأعطاني رقم الهاتف كي أتصل به و يخبرني بكل شيء

فعلاً أتصلت به إلّا أنني لم استطع استيعاب كلامه لأنه يريد أن يطبعه فقط دون حقوق نشر و توزيع و فكرة توزيع الكتاب داخل القطر مهمة جداً كيف لي أن أوزعه ؟

صدمني المبلغ الذي طلبه فاعتذرت منه و انهيت المكالمة شعرت حينها أن الحزن ترك كل البشر و استوطن داخلي

أرهقتني المحاولات الفاشلة لكن اصراري في تحقيق حلمي يدفعني للمحاولة ثانيا و ثالثاً و عاشراً

بعد عدة أيام عاود الشاعر مهاتفتي و قال أنه يريد رؤيتي و لم يتطرق لموضوع الكتاب

بالطبع رفضت مقابلته التي لا داعي لها يا الهي ماذا يجري هل يعقل بأنه يريد استغلالي ؟!

أرسلت للأستاذ فادي

- لم استطع حتى الآن أن أدقق كتابي و أفكر أن أرسله لدار نشر إلكترونية ما رأيك ؟

- جيد ساندرا أين توجد هذه الدار

- في مصر

- وفقكِ الله

- شكراً لك

تواصلتُ مع دار نشر إلكترونية و تخليتُ عن حلمي بنشر الكتاب ورقياً

- مرحباً أنا ساندرا من سوريا أريد نشر كتابي وقرأتُ على صفحتكم أنكم تحفظون حقوق النشر أيضاً ما المقابل ؟

- أهلا ساندرا نحن فريق عمل متطوع لمساعدة الجيل الصاعد من الكتّاب لذا قررنا المساعدة وبسبب الثمن الباهظ الذي تطلبه دور النشر الورقية قمنا بإنشاء فريق عمل أنا و زملائي

- جميل جداً جزاكم الله كل خير لكن ما الذي يضمن لي بأن الكتاب سَيُنشر باسمي ؟

- لا ضمانات لدينا سوى العمل الذي انجزناه سابقاً باستطاعتكِ تصفح موقعنا سَترين أننا نشرنا عدة أعمال بأسماء كتّابهم الاصلين

- شكرا لكم و لمساعدتكم لكني أريد بعض الوقت لتدقيق الكتاب

- آنسة ساندرا الفريق هو يدقق و ينسق و ينشر ما عليكِ سوى ارسال الكتاب بصيغة (الوورد)

- جيد جداً أريد رقمكم كي أحاول ارسال الملف لكن بعد فترة و شكراً لكم

- العفو

أخذتُ وقتاً كثيراً للتفكير و حسمتُ أمري عندها أرسلتُ لهم بأنني على استعداد لإرسال الملف و رحبوا بي فسألتهم هلّ لي أن أعرف اسم الشخص الذي أتكلم معه

- أنا الآنسة رهف مديرة الدار

- أشكركِ لتعاونكِ و سُررتُ بمعرفتكِ

- وأنا أيضاً سررت بمعرفتكِ لكني لا استطيع أن اساعدكِ قبل انقضاء الشهر الأول من السنة لأن الفريق في إجازة الآن

- فهمت سأحادثكِ آخر الشهر شكراً جزيلاً

- العفو

أحببتُ الآنسة رهف لا ادري لماذا لكنني شعرت بالحب تجاهها

يحدث أن تشعر بالحب و الراحة لشخصٍ لا تعرفه و شعرتُ أنها

رقيقة جداُ و متعاونة و شعرتُ أنها ستساعدني

بعثت رسالة للأستاذ فادي بأني أرسلت الملف و أنا بانتظارهم

تمنى لي التوفيق مرة أخرى ثم قال :

- آنسة ساندرا نحن نجتمع كل يوم أحد بالمركز الثقافي في أصبوحة

شعرية إن أردتِ الحضور أهلاً و سهلاً بكِ

- نعم بالتأكيد سأحضر الأصبوحة هذا شرفٌ لي أستاذ فادي

بالفعل ذهبت وقابلته هناك وتعرفت به شخصياً كان انسان رائع و

موهوب و الشعراء الآخرين الذين قابلتهم هناك كانوا رائعين

أحببتُ الجو العام للأصبوحة والجميع رحبوا بي

لكنهم انتقدوني و بشدة بعد أن ألقيتُ احدى خواطري على مسامعهم

لأني لا ألتزم بالوزن و القافية و بحور الشعر

فأجبتهم ببساطة أنا لا أكتب شعر إنما انثر احساسي على الورقة

بشكل خاطرة

- لا لا ساندرا يجب أن تكتبي مثلنا يجب أن لا تكون كلماتكِ

بتلك البساطة

- يا أستاذ أنني أحب البساطة و السلاسة و السهولة و العفوية ما

يخرج من القلب يدخل للقلب مباشرةً لماذا التعقيد و التفكير

بمصطلحات صعبة بدل التركيز على الاحساس الموجود في

الخاطرة و فكرة الخاطرة

لماذا يجب أن أكون مثلكم ؟

لماذا يجب أن أشبهكم ؟

لماذا لا أكون أنا لماذا يجب أن أكون نسخة من غيري ؟

شعرتُ ببعض الإحباط لكن سرعان ما استعدتُ تفاؤلي لأني معجبة و مؤمنة بكل كلمة كتبتها و لا أريد أن أكون نسخة مكررة من غيري و رأيهم رغم خبرتهم لن يؤثر عليّ

فالناس أذواق ومنهم من يحب الشعر الموزون ومنهم من يحب النثر الحر

بعد أن عدتُ للبيت راسلني أستاذ فادي وقال :

كان حضوركِ مميز تملكين هدوء عميق و ثقة بالنفس و صوت رائع دافئ رومنسي أهنئكِ على صوتكِ فهو إذاعي إضافةً إلى أنكِ جذابة جداُ و أنيقة لكني لم أفهم لماذا تحبين الصمت ؟

لم أعرف بماذا أرد فتابع الغزل قلتُ له

- شكراً لك هذا من لطفك

- لا هذا ليس من لطفي ساندرا هذا من قلبي تكلمي أيتها الشاعرة فالشعراء لا يصمتون أشعر أن ثوبكِ فنجان و أنتِ مُعبأة به كقهوة ساخنة و فجأة ينكسر الفنجان فتندلقين على أوراقي وتثمل الحروف بكِ
- لم أجبه اكتفيتُ بإرسال ابتسامة
- عصفور الكلام بداخلي يتلعثم حين يقرأ توهج الجمر في تبسمكِ رفقاً بالعصافير تكلمي انفعلي أخرجي ما بداخلكِ فأنتِ قصيدة و صوتكِ ديوانٌ بأكمله
- شكراً لذوقكَ أستاذ فادي
- تعلمين أن لديكِ سُلطة غريبة سُلطة رابعة سُلطة الجاذبية و تعلمين أيضاً أن أسلوب الصمت لديكِ لذيذ جداً يجعلني أُصر على اكتشاف حلاوة ثمارِكِ الناضجة لكني أشعر أحياناً أن صمتكِ قاتل

- ليس صمت لكني لا أجد الكلام المناسب
- يا الهي ما أجمل عيناكِ ساندرا المدهشة
- مدهشة ؟
- نعم و حق السماء رقة.. صوت مثير.. جمال.. عِناد
- غريب أنكَ وضعت العناد ضمن هذه الصفات
- بالطبع فالمرأة العنيدة تكون جذابة

أنهيتُ معه المحادثة وأنا مشدوهة مصدومة ماذا يريد ؟

بعد فترة قصيرة عرفتني احدى صديقاتي الصحفيات بالآنسة نهى التي هي عضو في اتحاد المثقفين رحبت بي كثيراً و أخذت الكتاب و قرأته فقالت :

ساندرا إنه كتاب جميل يملأه الاحساس أشعر أنكِ تتكلمين عن كل ما يجول في خاطري لكني لم أكتبه و هذا هو سر نجاحكِ استطيع أن

أقول أنه السهل الممتنع وفقكِ الله بالفعل كتاب رائع لكني لا استطيع أن أعدكِ بالنشر لأن ذلك سيأخذ وقتاً طويلاً

فهمت شكراً لكِ

عاد ليراسلني أستاذ فادي بمناسبة و بدون مناسبة مع غزل واضح

دُهشتُ و سألتُ نفسي هل يعقل أن الجميع أصبحوا هكذا !!

الكل يسعى لإقامة علاقة باستغلالهم حاجتي و بحجة مساعدتي !!

ما الذي يجري ؟!

عاد عمران من جديد و بلهفة لكني فكرتُ كثيراً هل يجب أن أعود ؟

أم يجب أن أنهي ما بيننا ؟

لكني لا استطيع تركه أنني أضعف من أن أتركه في كل مرة

يهاتفني بها يتجدد الشوق بداخلي و كأن شيئاً لم يكن

عُدتُ له و سامحته و قابلته أيضاً لكنه بدا كالمجنون لم أعهده هكذا

كان يطلب أشياء غريبة و يحاول التقرب مني و قال أنه بعد عدة

أشهر سيطلب يدي للزواج لكن رغم الفكرة التي يجب أن أسعد بها

شعرتُ بالحزن الذي لا نهاية له لأنه كان يحاول عبور الخطوط

الحمراء للحب و أصبح يريد أن نكون لوحدنا و أن الحب يبرر ذلك

و كان يثور و يغضب من رفضي و يتهمني بأني لا أثق به

أصبح غريب الأطوار و مكالماتنا كلها تنتهي بزعل و عدم رضى لأننا دائماُ متخاصمين فهو لا يريد أن نتكلم بشيء سوى الكلام الفاحش الذي يسير باتجاه مخزي و أنا أرفض و بقينا هكذا

كنتُ أشعر أن فكرة طلب يدي للزواج هي ليست إلّا كذبة ليتقرب مني أكثر و أصدقه و أسايره لفعل ما يريد

لكن هيهات هيهات أن أفعل ما يغضب ربي

حان وقت ولادة رنيم فقررت العودة كي تضع المولود بين أهلها و تأخذ الرعاية و الحب

عندها جاء أخاها و أختها لمدينتي والمبيت عندي كي يستقبلانها في المطار حال وصولها في الصبح الباكر استضفناهما و في تلك الليلة لا أدري ما الذي أصاب عمران ظل يراسلني على غير عادته و طلب مني أن أذهب لغرفتي و أكون وحدي كي يهاتفني لكني رفضت كيف أترك الضيوف و هو يعلم أنهم أقاربه قلت له من المعيب أن أتركهم لوحدهم يجب أن ابقى جالسة معهم لكنه لم يقدر ذلك و حصلت مشكلة بيننا انتهت بالخصام لم يحاول مراسلتي أو التكلم معي لمدة شهر تقريباً

جاءت رنيم و استقبلناها كلنا مشتاقون لرؤيتها فهي شخصية مرحة و محبة فراقها كان صعب جداً ذهبت للمبيت عندها بعد يومين من وصولها لكني لم أخبرها بشيء عن عمران لا أدري لماذا ؟

وضعت رنيم مولودتها الجميلة و ذهبت ثانية لمدينتها و لم أرى عمران حتى صدفة حاول محادثتي مرة واحدة بعد انقضاء شهر على خصامنا لكني رفضت أن أسامحه لأنه لا يرى العيب و الحرام و هو مُصر على رأيه و كلامه الخارج عن نطاق الأدب و الحياء أحنُّ له و أحبه لكن مبادئي وإيماني و ثقة أهلي أهم من حبي له شعرتُ بالضياع و قاومتُ هذا الشعور لا أعرف هل يجب أن أتخذ قراري و أحسم أمري بالفراق ؟

أم أني يجب أن أعطيه فرصة أخرى إن عاد لرشده ؟

و الأصعب أني لا استطيع أن ابوح لرنيم بكلمة واحدة لا أدري لماذا؟

بينما كنتُ جالسة مع أختي في المساء و إذ برسالة تصلني من الآنسة رهف مديرة دار النشر مفادها أن الإجازة انتهت و عاد الفريق للعمل و تطلب مني ارسال الكتاب مرة ثانية

شعرتُ بأنني سأطير فرحاً و أرسلتُ لهم الكتاب ثانيةً و بعد أسبوع راسلتني و قالت لم نستطع فتح الملف نعتذر بكيتُ و بكيتُ و لم أنم في اليوم التالي راسلني أستاذ فادي و سألني عن أخر أخباري سردتُ له ما حدث لي فقال اسمعي ساندرا أرسلي الملف الجاهز و أنا سأنشره بالفعل لم تمضي ساعة حتى كان الكتاب قد نُشر

لم أصدق أصبحت كالمجنونة أبكي و أضحك لا أعرف ما الذي أصابني أتلعثم في الكلام

يااااه بعد عناء و بكل سهولة نُشر الكتاب

راسلني الأستاذ فادي و شكرته كثيراً فقال لي

- هل تعرفين الرائحة التي تسبق يوم العيد ؟
- نعم رائحة فرح وثياب جديدة و رائحة حلويات العيد
- صحيح ساندرا عندما أراكِ أشعر بهذه الرائحة
- لا لا لا سأزعل منكَ عندما تراني يكون يوم العيد ذاته و ضحكتُ

عندها شعرتُ بإحساس يشي لي بأنه سيغازلني أو ما شابه لذا حاولتُ قطع الطريق أمامه و حاولت أن أوصل له الفكرة بأنه إن ساعدني مشكور لن يستعبدني وأي شيء سيفعله سينعكس عليه

- تعرف أستاذ فادي أن المثل الذي يقول كل شيء سلف و دَين صحيح و هذه هي الحياة شئنا أم أبينا

- كيف ذلك ساندرا اوضحي
- عندما كنا صغار كان هناك معلمات يدرسننا جاؤوا من الريف عدة بنات تشاركن السكن و كان مسكنهم في ذات الحي الذي نقطنه في أحد الأيام احداهن غابت عن الوعي في منتصف الليل فلم يعرفن ماذا يفعلن كل ما خطر ببالهن أن يأتين لبيتنا طرقن بابنا و هبَّ أبي لمساعدتهن و أخذ صديقتهن التي غابت عن الوعي لأقرب مستشفى و أعتى بها و في اليوم التالي زارهن هو و والدتي و قالت لهن إن احتجتن مساعدة لا تترددن في المجيء إلينا بعدها عدن لقريتهن و نحن كبرنا و نسينا الحادثة

بعد عشر سنوات كبرتُ و ذهبتُ لمدينة أخرى كي أكمل دراستي وفي أحد الأيام مرضتُ بشدة هاتفتُ أبي فقال أتصلي

بصديقي فعلاً اتصلتُ به فقال أنه في مدينة أخرى مسافر لكنه سيرسل لي أخاه

جاء أخاه في خلال عشر دقائق و ذهبت معي رنيم وأخذني للطبيب و اشترى لي الدواء بعد عدة أيام تحسنت صحتي عندها تذكرتُ موقف أبي و كيف ساعد الفتاة الغريبة و أنا الآن ببلد غريب و ساعدني شخص غريب ألتقيه لأول مرة و كانت آخر مرة فلم ألتقي به بعدها

تخيل الموقف نفسه عاد بعد عشر سنين

- من يزرع المعروف سيأتي يوم و يحصده
- صحيح لذا مثل ما كنتَ سبب سعادتي سيكون هناك شخصاً يُسعد ابنتك و يساعدها في تحقيق أحلامها
- لكنكِ تستحقين ذلك ساندرا أنتِ فتاة رائعة و محترمة و راقية
- شهادة أعتز بها أستاذ فادي

- و أهم من ذلك كله أن عيناكِ رائعتين ما أجملهم يا الله و صوتكِ دافئ جداً
- شكراً لك
- هذه حقيقة

لم أعرف بماذا يجب أن أجيب ارتبكتُ جداً

- أستاذ فادي في الوقت الذي يعاني العالم كله من الطاقة السلبية أنتَ تمدني بطاقة ايجابية
- أنتِ كتله من الطاقة و السعادة
- من الجميل أن يمتلك الشخص وجه جميل لكن الأجمل أن يمتلك جمال الروح و أنتَ روحك جميلة جداً
- شكراً ساندرا شكراً و أنتِ أيضاً ابقي ...ابقي
- أين ؟ و كيف ؟

- لا أدري يا ساندرا لا أدري أحياناً نتعثر بشخص يظلمنا الزمان بالتوقيت
- صدقت شخص صحيح في الوقت الغلط معايير الزمان غريبة
- ساندرا دائماً هناك شخص نعرفه لكننا لم نلتقي به فجأة نلتقيه بكل تفاصيله و نتحسس خطوط أطيافه داخلنا و نتأكد أنه هو لكن خارج الزمن هذا الشعور مؤلم جداً
- حواجز الزمن أكبر من قدرتنا على تخطيها و خاصةً في المجتمع الشرقي
- صحيح ساندرا هذا المجتمع يمنع الشخص من أن يكتمل بالرغم من أنه يرى أمامه الجزء الذي يكمله
- أراك عدت لكلامي في الخاطرة التي ألقيتها أثناء حضورك في أحدى الندوات هل فهمت الآن لماذا لم أقبل أن أغيّر أي حرف في خواطري هل وصلت الفكرة التي حاولتُ جاهدةً أن

أصولها لك الخواطر عبارة عن احساس منثور على الورق و تغيير أي شيء يقتل الاحساس

- أنتِ مختلفة يا ساندرا و هذه حقيقة هل تعلمين لماذا لم أحاول التواصل معكِ الفترة الماضية ؟
- لا لماذا ؟
- لأن الفراشة عندما تقترب من الضوء تقترب للجمال و لأن الوقت غير مناسب شعرتُ بخوف من الاحتراق بهذا الضوء هل تفهميني ساندرا ؟
- نعم أفهمك و جميل أنكَ تعرف الصواب و تعمل به هذه شجاعة خالية من الأنانية
- ساندرا
- نعم

- كم أنتِ جميلة و كم جسدكِ جميل و كم أنتِ أنيقة و جذابة أنني أشعر بشيء رائع احساس جميل ...جميلٌ جداً يا ساندرا

لم أكن أريد التكلم بهذا الشكل لكن لا أعرف ماذا دهاني لماذا لا تتكلمين ما هذا الصمت

- لا تعليق
- لستِ مضطرة للتعليق
- إذاً لماذا تسأل
- لا أريد أن أحلم وحدي
- لا تنسى هناك أحلام مكتوب عليها الإعدام أو بالأحرى وأدها أو الأصح لا نسمح لها بالولادة بل يجب إجهاضها

أعرف أن الإجهاض صعب مهما كان سواء كان طفل أو إحساس أو حلم

- أعرف لكن رغم ذلك أقول لكِ يا ساندرا ابقي أتمنى أن يكون البياض و النور حاضراً دائماً
- وضح ؟
- هناك كلام عندما يتم شرحه يفقد قيمته
- لكني أريد أن أفهم
- معرفتي بكِ يا ساندرا كلها نور و فرح و أتمنى أن يستمر هذا الفرح
- إن شاء الله و أنا معرفتي بكَ سعادة
- أستأذن أريد أن أنام لأنه يحب علي الاستيقاظ باكراً فأنا أحب أن أمارس الرياضة في الصباح الباكر و استنشاق الهواء النقي النظيف الخالي من دخان السيارات و مولدات الحي و أستمتع بجمال الطبيعة

- جميل لكني هجرت الرياضة منذ فترة طويلة أعتقد أنني يجب أن أعود لممارسة الرياضة أتمنى أن نصنع رئة ثالثة نستنشق فيها الحياة أكثر
- كل شيء ممكن و لا يوجد شيء أكيد هذه معادلة الحياة الصعبة يا أستاذ فادي
- نستطيع أن نغمض عيوننا و نحلّها أنني أحلم بكل شيء و أنا مغمض العينين
- تخيل ؟! تخيل أن النور الذي ذكرتَه منذ قليل ليس له لزوم لأننا نشعر بكل شيء جميل في العتمة أراك عدت لنفس الجملة التي قلتها منذ قليل كل شيء ممكن و لا يوجد شيء أكيد
- أحياناً تكون العتمة باهرة
- صحيح و خاصة في حالتي الحب و البصيرة

بعضهم يملكون بصر و لا يملكون بصيرة و آخرون يملكون بصيرة و لا يملكون بصر و منهم من يملك قلب و لا يملك احساس و اخرون من كثر احساسهم ماتت قلوبهم

- تعرفين ساندرا أن أكبر مشكلة هي الاحساس الزائد
- رغم أنه أجمل شيء تخيل أن الشيء نفسه حل و مشكلة في آنٍ واحد
- ساندرا هذا أقوى ألم يمكن مواجهته
- لأننا متطرفين بإحساسنا عندما نحب. نحب بصدق و بكل احساس وليس للمجاملة مكان عندنا لا نستطيع أن نجامل شخص لا نحبه لذا حياتنا صعبة و كل شيء فينا جميل و مشكلة بنفس الوقت

الوسطية أحياناً تكون مطلوبة لكننا لا نملكها ليس لدينا لون رمادي إما أبيض أو أسود لكننا يجب أن نرى اللون الرمادي

و نمتلكه في المعاملة لان كل شيء يزيد عن حده ينقلب ضده الحب الزائد مشكلة و الاحساس الزائد مشكلة و الحزن الزائد مشكلة و بالتالي حياتنا مليئة بالمشاكل لا يجب أن نتغير لأننا لسنا مخطئين عندما نكون صادقين إنما يجب نلجم احساسنا كي لا يندفع و يتطرف أتوقع أن ما واجهنا في حياتنا من مشاكل كفيل بأن يجعلنا نملك الخبرة التي تلجم تطرفنا الجميل المشاكس النقي المسبب للمشاكل

- صحيح ساندرا لكن هذا الاحساس يُشعرنا بنظافة الروح
- صدقت و ذلك لأننا صادقين مع أنفسنا قبل أن نكون صادقين مع الآخرين و هنا عُدنا للنقطة ذاتها أن الصدق حل و مشكلة بآنٍ واحد
- هناك لذة تَتَذوقها الروح لا تنطفئ أبداً و أي لذةٍ بغير هذا المعنى هي سعادة مؤقتة

- تقصِد مسكن ألم أو مخدر سريع الزوال

- بالضبط ساندرا هذا ما قصدته

- و هذا المسكن يمنحنا إياه الأمل و يصفعنا الخذلان

- يااااااه كأنكِ بداخلي يا لله هل تقرئين أفكاري و احساسي

- عندها ضحكت لا لا استاذ فادي لم أقرأ لكني آخذ اعترافاتكَ

حيث أنك لم تقرأ كتابي أنا متأكدة

لكنكَ الآن اعترفت بجماله و الآن استطعت أن اوصل لك

فكرة أن القساوة و الشعور لا يجتمعان

- يا لدهائكِ !

ساندرا أنا في عمري كله لم أكن جبان لكني الآن أخاف مني و

أخاف منكِ

- أنتَ تحاول أن تتجنبني كما يتجنب الطفل الظلام صحيح ؟

- ساندرا هذا اسمه احترام أقسم لكِ

- أعرف و أقدر هذا و يسعدني احترامكَ لنفسكَ و لي
- أشعر أنكِ مجتمع كامل يا ساندرا تعرفين
- ماذا ؟
- يوجد شيء أسمه ساندرا شيء مميز جداً

لأنني صادق مع نفسي يجب أن لا أكون أناني و أبحث عن مسكن للألم إن الألم من دون مسكن له لذة يتذوقها العاشق

- صحيح و أحييك لكن هل اقتنعتَ الآن بأنكَ متطرف الاحساس حتى الألم تصل لقمته و تستلذ به
- و أنا أحيي التمرد داخلكِ

عندما يكون حبيبكِ الملح لجرحكِ

- الملح يطهر الجرح الذي جرحكَ إياه الزمان

وهنا عدنا لنقطة الصفر درنا دورة كاملة داخل الحلقة المغلقة و عدنا للزمان الذي خاننا بتوقيته الغريب

- صدقتي لكن في بعض الأحيان يجب أن نحتضن الملح و نصل لمرحلة الخدر هنا تكمن السعادة لكنها بعيدة كل البعد عن مفهومنا المعروف
- ربما
- يجب أن تنامي أليس كذلك
- هو كذلك
- آسف
- لا داعي للاعتذار حديثك شيّق و ممتع أشكركَ على كل شيء فعلتهُ من أجلي سابقاً و أنا على يقين أن هناك المزيد لاحقاً
- تعرفين ساندرا من الصعب أن يصل المرء لاتفاق فكري مع فتاة مثلكِ لكنني أشعر أنني وصلت

و هذه سعادة أليست كذلك ؟

- نعم هي كذلك سعادة و ذكاء استاذ فادي

- المرأة الذكية متعبة و غير مرغوبة لدى الناس السطحيين لكننا عندما نعلم بأنها آلة موسيقية يجب أن نعرف كيف نعزف على أوتار روحها العذبة المفعمة بالحب لنخرج أجمل لحنٍ و ربما نجعلها تنزف رحيق
- نعم قد تكون كذلك و قد تكون بحر كلما تعمقت فيه و أبحرت تذهلكَ بالدرر المخزونة داخل روحها وتفتنك بسحر جمال أعماقها تجعلكَ تحبها و تهابها فهي دائمة العطاء و دائمة المفاجآت تارة هادئة رومنسية المزاج وتارة تموج و تعصف لتدمر كل ما تراه في طريقها و ...و .. ..
- أن أحبها و أهابها فهذه قمة النبل وقمة المتعة لكن من الصعب أن يشرب المرء منها ليرتوي لأنه سيزداد عطشاً كلما شرب و هكذا يبقى ملتصقاً بها

أشعر بأن النعاس يحاربني كلانا يريدكِ و لا أدري من سيفوز ليمضي وقتاً أكثر معكِ أليس كذلك ؟

- هو كذلك و على ما يبدو أنكَ مقاتلاً شرساً و لست راغباً بأن تنهي الحديث
- هل يوجد صعقة تجعلكِ تستيقظين ؟
- صعقة ؟
- حاولي التخلص من كل شيء تتوقعين بأنه سيعكر مزاجنا على المدى الطويل و هنا الذاكرة البعيدة ستتحرر
- هل سمعتَ أو شاهدتَ من قبل بأن حراً تحرر ؟
- مذهلةً أنتِ يا ساندرا مذهلة و كلامكِ رائع لكن في بعض الأحيان تستعبدنا الذاكرة
- لا أستاذ فادي ليس هناك من يستعبد حراً سواه هو من يقيد حريته بوعيه لذا أسمه حر

- الحرية عكس الاختيار
- لا أبداً الحرية لا تُمنح لمجنون أنما تمنح لعاقل يعلم كيف يوزن الأمور و لديه محاكمة عقلية لذا يعرف كيف يختار و يختار الأنسب
- العمل الأكثر حرية هو العمل الذي لا مجال للاختيار فيه و في حقيقة الأمر أن العاقل عبد
- لا العاقل ليس عبداً إنما يختار الشيء الذي يناسبه ويناسب مبادئه
- المجنون هو الحر الحقيقي
- لا أستاذ فادي هو لا يستمتع بالحرية فقمة العقل جنون و قمة الجنون عقل بدليل المثل الذي يقول خذ الحكمة من أفواه المجانين
- مفهوم الحرية لدي معقد يا ساندرا و يصعب شرحه

- قد يكون كذلك بالنسبة إليك إنما بالنسبة لي واضح و أعرفه تماماً و حدود الحرية لدي هي خطوط حمراء من نار تحرق من يقترب منها و تنير درب من يمشي بظلها و لا يقربها
- مثلاً كيف تطلقين أسم حر على شخص أشتهى أن يأكل أي شيء و لا يستطيع و غيره قادر
- مثلاً أستاذ فادي مريض السكر لا يستطيع أكل الكثير من الحلويات لكن الحرية و الخيار له إما أن يأكل و يؤذي نفسه أو يحمي نفسه بالتقليل منها ومن كل ما يؤذيه بالتالي هو حر
- ساندرا الحرية تعني ثورة مستمرة على حسب رأي غيفارا
- الحرية هي ثورة لمن يريدها و لا يملكها إنما نحن أحرار

هنا فهمتُ بأنه يريد تسميم أفكاري و أنه يسير بطريق غير طريق النقاش فهو يحاول السيطرة على عقلي قبل قلبي و بث سم أفكاره الدنيئة بطريقة عقلانية يتقبلها عقلي لذا حاولتُ انهاء الحديث و قلتُ

- هلّا أعطيتني بعضاً من الحرية و سمحت لي أن أنام
- تصبحين على خير ساندرا
- و أنتَ بألف خير

كانت صدمتي كبيرة جداً به إلّا أنني حاولتُ تجاهله وقلتُ لنفسي بأنني يجب أن لا أسمح لشيء بتعكير مزاجي وسلب سعادتي حتى و إن كان هذا الشيء أستاذ فادي فبعد معاناة دامت أكثر من سنة في محاولات بائسة لنشر الكتاب لم أترك باب إلّا و طرقته و لم أترك طريقة إلّا و حاولت أن أسير في طريقها و لم أترك فرصة إلّا و حاولتُ استغلالها صحيح أنني كنتُ أحياناً أيأس و أشعر أن الكتاب

لن ينشر لكني سرعان ما استجمع قواي ثانية و أحاول إلى أن نُشر الكتاب فلن أسمح لشيء أن يسرق لحظاتي الجميلة هذه ثم فتحتُ الباب لأفكاري فخرجت من عقلي واحدة تلو الأخرى إلى أن صفي ذهني و استسلمت لنومٍ عميق

عندما نُشر الكتاب لم أكن أعي تصرفاتي قفزتُ و صرختُ بفرحٍ و عانقتُ أختي شعرتُ بسعادة كبيرة فعلاُ أن للنجاح طعم رائع و لذيذ لا أنكر بأن الطريق له صعب و مليء بمطبات اليأس و الاحباط

إلّا أن لحظة النجاح و هي لحظة قادرة على مسح كل ما عداها لتستفرد بالروح والجسد والمشاعر و هذه هي قمة السعادة

لحظة النجاح قادرة على مسح تعب السنين من أجسادنا

و قادرة على إخراج أشواك اليأس و الاحباط من أرواحنا

وقادرة على نفض غبار الخذلان المتكرر عن قلوبنا

هذه اللحظة قادرة على أن تجلي مشاعرنا لتصبح براقة كمرآة تعكس فرحة عذراء يوم زفافها لحبيبها الذي لا يعلم بحبها العذري له

هذه اللحظة قادرة على تخطي الزمن و العودة بنا لزمن الطفولة مهما كانت كبيرة أعمارنا

بقيتُ هكذا أقفز فرحاً إلى أن تعبت قدماي وتعبت وجنتاي من الابتسام

بدأت التهاني تنزل كالمطر لم أستطع السيطرة على هاتفي الجوال

إنها سعادة لا توصف

و بعد وقت قصير جاءتني ردود القرّاء و كانت أغلبها ايجابية

كثيرون هم من أعجبوا بخواطري الشكر لك يا رب

أجمل شيء بالحياة هو جني ثمار النجاح بعد جهد و تعب كبيرين

لكن فرحتي كان بها غصة لم تكتمل وذلك لأن اهم ثلاث صديقات

لي لم يفرحوا لفرحي و لم أراهم قربي واحدة منهم كانت صديقة و

أخت كنا أيام الجامعة نتشارك السكن مواعيد نومنا و مواعيد أكلنا

كلها ذاتها كنا أكثر صديقتين مخلصتين لبعضنا و الجميع كانوا

يحسدونا على صداقتنا حتى في المشاوير و في الرحل كنا مع

بعضنا إن أعلنت كليّتها عن رحلة تسجل أسمي قبل أسمها و كذلك

أنا إن أعلنت كليّتي عن قيامها برحلة كنتُ أسجل أسمها قبل أسمي و

نحضر الأمسيات الشعرية معاً و تحضر معي كل تحضيراتي المسرحية قبل عرضها اهتماماتنا ذاتها و شاءت الأقدار أن نفترق دون سببٍ واضح مضت ثمان سنوات على افتراقنا و لم أعرف السبب و لم نتكلم سوى مرتين رغم أنها تعرف كل أرقامي صحيح أني أحبها كثيراً و افتقدها بشدة إلّا أني لا استطيع التواصل معها شيء ما بداخلي يمنعني صوت بداخلي يقول لي كيف هانت عليها صداقتكما و كيف استطاعت أن لا تبوح بالسبب من حق الصديق على الصديق العتاب لذا أنا متأكدة أنه ليس هناك سبب وإلّا ما كانت لتخفيه

لم استطع تخيل أنها تستكثر كلمة مبروك صُدمت و أعرف أنها على علم بصدور الكتاب و أجزم أنها أخذت الرابط و قرأت الكتاب لكنها لم تفصح عن ذلك

أما الثانية أيضاً أعرفها من أيام الجامعة و كانت من نفس تخصصي و في الخمس سنين الاخيرة أصبحت علاقتنا أقوى كنتُ معها حاضرة بكل تفاصيل حياتها في الفرح و في الحزن مناسباتها كثيرة و لم أتوانى عن الحضور دائماً معها و بجانبها و لم يخطر ببالي و لو للحظة أنها لن تكون بجانبي في أهم لحظة في حياتي بقيت بعيدة مثل الغريب أكتفت بالمباركة فقط و ذلك بعد أن رأت التهاني التي وصلتني لتتذكر أنها يجب أن تهنئني صدمتي بها كبيرة جداً

أما الثالثة أكتفت بتعليق على أحد مواقع التواصل الاجتماعي فقط لم أهتم كثيراً لأن صداقتنا حديثة الولادة إلّا أني أحبها و خمنتُ أنها تحبني بنفس المقدار لذا استفقدتها و عتبت بعض الشيء

لكن هناك من فرح لفرحي أناس لم يكونوا بالحسبان صحيح أن المواقف تكشف المعادن و غالباً ما كنا نعتقد أن الحزن هو من

يكشف معادن الناس لكن الفرح لم أكن أعلم أنه مثل الحزن يضع الناس بالغربال ليسقط من كان صغيراً بفعله و حسده و غيرته ويبقى من كان كبيراً بالطيب و الأخلاق التي لم نكن نعرفها لولا المواقف

جميلة هي المواقف رغم قساوتها تفتح قلوبنا لأشخاص كنا مواربين باب القلب في وجههم

و تغلق بقوة باب القلب في وجه أشخاص ندم العقل على معرفتهم

فكان من بين المهنئين فتاتان من زميلات الدراسة فوجئتُ بأن رقمي لا يزال لديهم محفوظ هنأوني بصدق شعرتُ به و كلام عذب أعطاني دافعاً للمثابرة

و كانت أول المتصلين احدى قريبات صديقتي الثانية تكلمت معي و وهنأتني رغم أن علاقتي بها رسمية و لا أراها إلّا عندما أزور صديقتي الثانية التي هي من المفروض صديقتي و تربطني بها

علاقة قوية كانت مثل الغريب مجرد كلمات قليلة رفع عتب لا أكثر

و لم تكلف نفسها عناء الاتصال

- مرحبا ساندرا

- أهلا داليا كيف حالكِ ؟

- بخير و جئتُ بالخير كله

- أوضحي

- هناك عريس لعروستنا الجميلة هو أبن خالي تاجر كبير جداُ أحواله المادية ممتازة لا ينقصه سوى العروس ما رأيكِ ؟

- لا أدري سأخبر أمي و من ثم نقرر

- جيد نحن في الانتظار

هاتفتني داليا كثيراً محاولةً اقناعي لكني كنت مترددة جداً تحت إصرارها الكبير أعطيتها موعد عند الساعة السادسة غداً

جاء غداُ و كنت في قمة التوتر لا أدري لماذا هي فقط جلسة تعارف و جاءت الساعة السادسة والسابعة و الثامنة لكنهم لم يعتذروا و لم يأتوا

عند الساعة الثامنة و النصف جاؤوا و اعتذروا عن سبب التأخير بسبب ظرف طارئ لم تطول مدة جلوسهم عن النصف ساعة و غادروا والدة العريس كان واضح عليها شعورها بالفرح أحبتني جداً و هو أيضاً لكني شعرتُ بالخجل فقد سكت الجميع و تأملوني ارتبكتُ جداُ و خرجتُ من الغرفة

بعدها هاتفتني والدة العريس الذي اسمه جميل و استسمحتني بأن تعطي رقم جوالي لأبنها كي نتكلم و نتفاهم أجبتها بأن لا مانع لدي

تكلمنا عدة مكالمات كانت الرسمية تغلفها و طلبت بعض الوقت للتفكير بعد عدة ايام هاتفني

- مرحباً

- أهلاً جميل

- كيف حالكِ ساندرا ؟

- بخير الحمد لله و أنتَ كيف حالكَ ؟

- بخير ... هل فكرتي ؟

- نعم فكرتُ و حسمتُ أمري و أخذتُ قراري

- ما هو قراركِ ؟

- تذكرت قول سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليه السلام هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بما لم تستطع عليه صبراً

أولاً موضوع السكن فكنا على اتفاق و كما أوضحتم لي أنتَ و والدتك بأن بيتك جاهز لا ينقصه إبرة كيف تقول لأبي بأني سأسكن

مع أهلك في بيت واحد أين هو بيتك الجاهز إذاً ؟ و لما هو جاهز أصلاً ؟

أنا فتاة تحب الاستقلالية و لن أشارك أحداً في السكن لأيّ سببٍ أو ظرف مهما يكن

إذاً موضوع السكن فيه جدل و هذا لا يبدي بشائر خير

ثانياً كما يقول المثل الشعبي المتداول (عملت من الحبة قبة) من أجل الاستيقاظ الباكر و أنتَ لا تعلم أساساً كيف تسير حياتي و متى موعد استيقاظي و ذهبت تتكلم لكل من تراه ما تداولته مكالمتنا الأولى التي لا تحمل في طياتها أي شيء سوى بعض المجاملات وذلك لأننا مقيدين بقيود الخجل ومكبلين بسلاسل الرسمية الطبيعية لأي أثنين غريبين يتكلمان أول مرة

جميل أنت تفتقر للملاحظة و ربط الكلام لدرجة أني أكاد أن أقول أنك تفتقر للذكاء أصلاً

أنسيت أنني قلت لك أنه لا يوجد شيء أحب لقلبي أكثر من الاستمتاع برؤية خيوط الشمس الذهبية التي تمتد فجراً جارّةً خلفها الشمس فشروقها يذكرني بأن هناك أمل دائما مهما طال ليل الهموم و بعد شروقها أذهب لممارسة الرياضة كي أحافظ على قوامي الرشيق وأبعد الاكتئاب فهو يهرب بعيداً طالما تحيط بنا هالة الراحة النفسية الناتجة عن الاستيقاظ الباكر أذاً هو ليس بالأمر الصعب لكني لاحظتُ أنك كررتَ و أكدّتَ على الاستيقاظ باكراً لذا فكرتُ أن أقول لكَ بأني لن أستيقظ قبل الظهر لأرى ما هي ردةُ فعلك علمتُ بأني لن أتوقعها لكني لم أعلم بأني سأصدم بها و بك

و أنك تتكلم بتفاصيل حياتنا المستقبلية للآخرين و هذه التفاصيل مهما كانت تافهة و بسيطة إلّا أنها يجب تكون خاصة جداً

ثالثاً كانت صدمتي أكبر عندما لم تستطع تمييز زملاء العمل عن الأصدقاء فذهبت تشوه سمعتي بغباء بين الناس و كل ما في الأمر أنك اتصلت و سمعت ضجةً فسألت و أجبتك أنني في العمل فإن كنتَ لا تميز الصديق عن الزميل فهذه مشكلتك ليست مشكلتي

وضعتَ نفسك بموقفٍ لا تحسد عليه و صغرتَ نفسك بين الناس و أظهرت جهلك حين تكلمت بمواضيع سطحية و ساذجة و كاذبة

لو سمحت جميل لا تعاود الاتصال بي فالموضوع انتهى

في صباح اليوم التالي يرن الهاتف لأرى أن المتصل هي والدته

- صباح الخير ساندرا كيف حالكِ ؟

- صباح الخير خالة الحمد لله أنتِ كيف حالكِ ؟

- بخير .. ما الذي حدث أمس بينكما ؟

لماذا أنهيتِ الموضوع ؟

- خالة هل تذكرين تلك القصة التي تقول أن رجلاً ذهب لمدينة و عندما عاد سأله أهل قريته كيف رأيتَ المدينة التي كنتَ بها قال رأيت كفر و فسوق و العياذ بالله لم أرى أبشع من هذه المدينة و ذهب رجلاً آخر للمدينةِ ذاتها و عندما عاد بدأ يتكلم عن عدد المساجد الموجودة فيها و جمال بنائها و عبقرية الهندسة و أهلها الكرام الذين استضافوه بحب و طيب و الشباب الملتزمون بمواعيد الصلاة حين تمتلئ المساجد بهم عند كل فرض و هم ناس محبين للصدقات أكاد لا أرى فيهم الفقير و لم ألمح أيّ متسول

فقال أهل القرية سبحان الله المدية فيها الخير و الشر و الكفر و الايمان لكن كل رجل تكلم عن الأماكن التي زارها و أظهر ما في داخله

و كذلك جميل قلت له الشيء و نقيضه لكنه أخذ ما أراد و لم يبالي للنقيض

قلتُ له أن كل كلمة يجب أن تبقى بيننا فأنا أقدس الخصوصية فذهب يتكلم و يزيد كما يريد و أخبر الناس بأشياء لم يفهمها أنا لم أكن أتوقع ذلك قلت لنفسي أضعف الإيمان أن يمتلك بعض الذكاء و يرى التناقضات لكي أرى كيف سيعاملني في الأمور التي لا يحبها لكني لم أتخيل أن يكون ذلك الرجل الذي لم يرى في المدينة سوى الكفر

كيف سأشعر بالأمان مع شخصٍ كهذا ؟

لا يكلف نفسه حتى عناء التفكير لحظة في كلامي و ليس لديه منطق

لا أريد رجلا مثله و لو كان يملك الدنيا و ما فيها

الرجل باستطاعته أن يمتلك المال فهو رزق

لكن الذي يملك مالاً ليس باستطاعته أن يكون رجلاً فالرجولة أخلاق

و على ما يبدو أنه لا يمتلكها

أعذريني على هذا الكلام لكني أعلم بأنك لن تقبلي بأن يشوه أبنكِ

سمعة فتاة لأنكِ تخافين على ابنتك و سمعتها و تعرفين المثل الذي

يقول (كل شي دين حتى دمع العين)

يطلب مني أن أتغير قبل أن يعرفني تخيلي ؟

ما هذا الشخص الغير معقول ؟

- يا ابنتي هناك سوء تفاهم حتماً تمهلي قليلاً قبل أن تحكمي

- لا خالة إنه ليس سوء تفاهم لأنه لم يفهم نفسه حتى يفهم غيرها أو يسيء فهمها وأنا لم أحكم هو من حكم عندما سمعت ما يقال عني لا لن أتمهل و الحمد لله أن الله هداني لهذا التصرف و أحببت أن أختبر ذكائه الذي اكتشفت بأنه غير موجود و الحمد لله بأني لم أقبل أن أراه الله أعلم ما الذي كان سيقوله للناس

يا الهي كنتُ أتوقع أن هذا النوع من البشر أنقرض لكنه لم ينقرض للأسف

أما الكفر الذي أخرجه من جنتي هو أنه تكلم بهذه المواضيع و لم يحترم أنني طلبت منه أن لا يتفوه بكلمة لأنني أحب الخصوصية و أوصيته بذلك إن اتفقنا و إن لم نتفق فهذا شأننا و حسب وليس للناس شأن

أما هو ما شاء الله نشر الخبر الصادق و الكاذب مثل أغلب القنوات التلفزيونية هذه الأيام تبالغ في الأمور و تشوه سمعة بلاد أو رئيسها و تقدّر البلاء قبل حدوثه لذا ليس له بالطيب نصيب و لن يدخل جنتي سوى من كان مؤمناً بي و بتصرفاتي و قناعاتي و أفكاري و كل ما يتعلق بي

حاولت والدة جميل جاهدة إقناعي بإعادة التفكير بالموضوع لكن محاولاتها بائت بالفشل فجاءت لبيتنا بصحبة اختها حاملة لي شالاً حاكته بيدها و بعض الحلوى التي صنعتها و حاولتا إقناعي و أقناع والدتي وأن اعطيه فرصة ثانية وافقت على إعطائه فرصة ثانية رغم علمي بأنه لا يستحقها و لن يستغلها ولم يتعلم درساً من أخطائه و لن يقدر قيمتي و سيخسرني مجدداً و في النهاية سنكون قد أضعنا بعض الوقت فقط دون جدوى لكني وافقتُ تحت إصرارهما الشديد

حتى أن خالته قالت إن رفضتِ خمس مرات فسنعود لن نقبل بأن تكوني كنة لغيرنا

فعاود الاتصال بي بعد ذهابهما مباشرة كالظمآن في الصحراء و رأى ماء يركض و تطول المسافة أمامه و هو يتعثر

- مرحباً

- مرحباً

- ماذا تفعلين ؟

- أجهز نفسي و أرتب بعض الأمور فغداً سأذهب لدوامي

- لن تتركي هذا الدوام فأنا لستُ بحاجة لراتبكِ

- لا لن أتركه أعرف أنه متعب و توقيته مزعج لك إلّا أني أفضله و أحبه

تبادلنا بعض الكلمات و أنهيتُ المكالمة و شعرتُ بأنه تفاجأ بردة فعلي الباردة و كأنه كان يتوقع أن أخرج له من سماعة الهاتف و أعانقه

لم يفكر بأن يتصل و يطمئن عني هل وصلتُ بسلامة بعد رحلة السفر التي دامت ما يقارب الأربع ساعات و لم يبالي كيف ذهبت رغم حظر التجوال المفروض بسبب الوباء المتفشي (كورونا)

هاتفني و قد أوشكت على نهاية الدوام اجبته بشيء من الحزن سألني ما بكِ ؟

فأجبته بلا شيء أصر على معرفة السبب فقلت له بأن دوامي سينتهي غداً و لا توجد سيارة لأعود بها بسبب الحظر و سيارة المشفى بها عطل

لا أدري بما أوصف حالتي عندما سمعت جوابه و لا أدري بماذا كان يفكر عندما تفوه بهذه الكلمات هل يفكر لا أشك بل تيقنت أنه لا يفكر لأنه لا يوجد عاقل يقول ما قاله أين هي شهامته كلماته تترد في رأسي غير مصدقة ما سمعته (أذهبي لأيٍ من حواجز قوى الأمن و عندما تأتي سيارة بها عساكر أصعدي معهم)

هل يعقل أن يقول شاب لخطيبته هذا الكلام و يقبل بأن تكون بصحبة شباب لا تعرفهم مسافة طويلة و هو قادر أن يأتي و يأخذها بكل سهولة فهو يملك مهمة لعبور الحواجز و أنا أملك مهمة كوني أعمل بمجال الصحة لكنه لم يقل ذلك فضل أن أعود مع ناس غريبين ألهذه الدرجة هو بخيل ؟

إنها القاضية و الحاسمة

عندها نهيتُ الموضوع دون رجعة بعد أسبوعين يتصل بي شخص عزيز و يفتح الموضوع ثانية لقد وسّطه جميل لأنه يعلم أني لا أرد له طلب

و عادت صديقتي داليا لتقنعني به مجدداً و في هذه الأثناء سمعنا خبر زواجه !!!

نعم لقد تزوج ما أغربه و ما أغرب تصرفاته التي لا توزن بميزان و لا بقبان حتى داليا ابنة عمته لا تعلم صُعِقت بهذا الخبر

عندها ظننتُ بأن الموضوع انتهى و خاب ظني

والدته اتصلت بداليا و عاتبتها بقسوة و قالت لها أنها لم تسعى في الموضوع بشكلٍ جدي قالت لها داليا كيف لا و قد تحملت من زوجي ما لا يتحمله بشر بسبب عقله الصعب فهو لا يرضى أن أتدخّل في مواضيع الزواج هذه نهائياً لكني حاولت كثيراً

أسرّت لها أم جميل أنها كانت تحبني جداً و أن أبنها أضاعني و أنها كانت تريد كنة مثلي مثقفة و واعية و أن ذكائي كان واضح في لمعة عيوني و أنها كانت تشاهد مقابلة لي عبر الانترنيت عندما استضافتني إذاعة في برنامج للشعر و كم كانت ستكون فخورة بي لو أني كنتُ كنّتها و كانت ستشجعني لكن الموضوع أنتهى

الحمد لله أن الموضوع انتهى لو كان به خيراً ل تم النصيب لأني استخرتُ ربي

كعادته عمران يغيب مدة طويلة ثم يعود و يهاتفني هذه المرة ليبارك لي على نشر الكتاب استغربت هذه المباركة حيث أنه لم يساعدني كثيراً في التدقيق و تركني للحيرة غالباً كنتُ أشعر أنه يغار مني أكثر مما يغار علي و لا أجد مبرر لغيرته فهو موهوب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى و نوع الشعر الذي يكتبه مختلف عن الذي أكتبه لما الغيرة إذاً ؟

و لكنه كان يستطيع تدقيق كتابي في غضون أيام قليلة ولم يفعل لماذا إن لم تكن غيرة ماهي إذاً ؟

هل يعقل استهزاء ؟!

لا لا لا يستطيع احداً الاستهزاء بخواطري حتى إن لم تكن تعجبه إلّا أنه يعرف أنها جيدة و كلها احساس لا يستطيع أن ينكر ذلك فقد قيّمني أفضل الشعراء و أقرّوا بجمال احساسي و عذوبة كلماتي

إذاً ماذا ؟

استهتار ؟!

ربما استهتار ذلك جائز

و مع ذلك سُررتُ بمباركته قال أننا يجب أن ننسى الخصام و نحتفل بهذه المناسبة السعيدة لأن ولادة أول عمل أدبي لي ليس بالشيء القليل و يستحق الاحتفال

عُدتُ للتفكير فهو دائم الاهمال و كثيراً ما كنتُ أختنق من إهماله كيف أهتم للاحتفال لم أجد تفسير منطقي لكنني كنتُ في غمرة سعادتي لذا خانني ذكائي و فكرتُ بأن كلامه صحيح ولادة أول عمل أدبي لي يشفع له و يجعلني أنسى الخصام و الحزن و أبدأ الحياة من جديد بقلبٍ طيب نقي و صفحة بيضاء لا يلوّثها الحقد و الكره و إن كنتُ لا أملكهما من الاساس إلّا أني هكذا فكرتُ

أعترف أنه أختار الفرصة المناسبة حتى اختياره للتوقيت و المكان لم يثر ريبتي

أرادَ أن نلتقي في أتحاد المثقفين الساعة الحادية عشر صباحاً

لم أكن أعلم أن مكان كهذا خالي في هذا الوقت من النهار حيث أن الجميع غادروا لحضور فعالية في منطقة تبعد مسافة ليست قصيرة

لم يكن يوجد أحد سوانا بدأت ألتفت حولي و أسأله أين الجميع لكنه لم يجب فقط أغلق الباب و أجابت عيناه بالخبث الذي يملأه

وقفتُ مصدومة من تصرفاته و هادئة لم تبدي الصدمة أياً من علاماتها على ملامحي فقط اكتست ملامحي بالجمود لأني لم أكن أستوعب الموقف

شعرتُ بأن تفكيري قد شُلّ عندما بدأ بالاقتراب مع كل خطوة يخطيها تجاهي أشعر أن المكان يضيق و الجدران تخنقني أكثر

لكني حافظتُ على هدوئي فتحتُ محفظتي بتأني مثبتةً نظري على وجهه ظل يقترب و لم يرف لي رمش و نظراته تكشف أكثر فأكثر عن تفكيره الدنيء المقرف و ابتسامة النصر تعلو شفتيه

بكل هدوء و دون أن يشعر عثرتُ على ضالتي في محفظتي التي كانت عبارة عن مشرط جراحي حاد دوماُ كان في محفظتي إلّا اني لم استعمله غير مرة أثناء تقشير الليمون لم أجد حينها سكين فاستخدمته لكني لم أتخلى عنه دائماً كان هناك شعور بداخلي يلحّ بأن أحمله معي أينما ذهبت و أنا لا أكذب احساسي أصدقه و أعمل بنصائحه

لم ينتبه لوجوده في يدي جل تركيزه كان على مبتغاه المنحط أقترب جداً مني و عندما رفع يده ليضعها على وجهي رفعت يدي و جرحت معصمه عند الوريد بدأ الدم بالتدفق و أصبح ينزف و هو

يصرخ و يتألم بدون وعي هو أساساً لم يكن يتألم إلّا أنه جبان لم يحتمل منظر تدفق الدم

لم يؤلمه ضميره بمحاولة اغتصاب فتاة عذراء

و لم يؤلمه قلبه لأنها من المفروض حبيبته كيف سيكون بهذه الخِسّة أمامها كل هذا عادي استوعبه و بدأ بتنفيذ خطته

و لم يفكر بعقاب الله الأليم على فعلته هذه و لم يفكر بالخوف من ربه لكنه فزع من منظر الدم لم يستوعب فكرة أن النزيف هذا من جسده يا له من جبان

لم يعي خطورة الجرح لكن الخوف قتله فهرع مثل المجنون للباب و وفتحه بصعوبة عبثاً يحاول وقف النزيف

أما أنا بقيت مثلما أنا هادئة جامدة أقف مكاني و كأني أشاهد فلماً بالتلفاز لا أحاول المساعدة

خرج يركض باحثاً عن أقرب مستشفى أما أنا فخرجتُ أمشي ببطء

لا أدري لماذا ؟

هل لأثبت له أنني لا اخاف أم أنني من فرط خوفي قدماي لم

يستطيعا المشي

أم لأنني في حالة صدمة

عدتُ للبيت و أنا في حالة صدمة تامة لم أتكلم و لم أتناول وجبة

الغداء فقط ذهبتُ لسريري دون أن أغيّر ملابسي تكورتُ كالجنين

في بطن أمه و غرقت في نوم عميق لم أستيقظ إلّا بعد مضي ثلاث

ساعات

عندما استيقظتُ شعرتُ بتحسن كبير لم أخف و لم أضعف ولم أبكي

و لم أحزن فقط تابعت تفاصيل يومي المعتادة

في المساء بدأتُ أفكر في الأمر ابتسمت عندما كان صوت أفكاري يعلو بهذه الكلمات

الأنثى مخلوق ضعيف و رقيق لكن عندما يحاول أحدهم المساس بشرفها تصبح أقوى مخلوق يعطيها الله قوة جبارة للمحافظة على شرفها فالفتاة العفيفة لا يغويها شيء و الفتاة الشريفة لا يخيفها شيء تقاتل بشراسة فإما أن تموت أو يموت دون أن ينال مبتغاه

و يعطيها الله أضعاف تلك القوة عندما تصبح أم فإن حاول أحدهم الاقتراب من أولادها و أذيتهم لن تتردد بفعل أي شيء كي تحميهم

ما أجمل الأنثى و ما أجمل تناقضها رغم ضعفها تملك القوة

و رغم القوة هي ضعيفة

فكرتُ بأن الذي حصل أعطى لقلبي قسوة تجعلني أقسم أنني ما أحببته يوماً

فعلاً لم يعد يخطر ببالي و لم أعد أفكر فيه لدرجة أنني نسيتُ كل شيء و لا أبالغ في هذا

فبعض المواقف تشبه الصفعة مؤلمة لكنها تجعلنا نستيقظ من الكابوس و ننساه على اعتبار أنه مجرد كابوس انتهى

نعم انتهى فمثلما فرض حبه على قلبي

فرض نسيانه أيضاً

أشكرك عمران لأنك بتصرفك هذا استطعت أن توفر الكثير من الوقت قد يصل لسنين طويلة من العذاب كان سيحرقني جمر الشوق و تلتهمني نار البعد و الحنين يستوطن اعماقي و أنا أحاول نسيانك باختصار كنت سأكون بقايا انسان

و الجميل في الموضوع أنه خلصني من كل شعور يخصه

الحب و الكره النسيان و الذكريات كل شيء

و كأن فعلته هذه كانت أشبه بممحاة استطاعت أن تفعل المعجزات و تمحي من قلبي كل أثر لوجوده فلم يعد قلبي يحمل تجاهه لا حقد و لا كره ولا حب ولا سماح و كأنه لم يكن موجود في حياتي و لم اعرفه من قبل نهائياً .

لمحة عن الكاتب

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي

من مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل